

مساجد صيدا الأثرية.. من معابد الشمس إلى بيوت يُرفع فيها الأذان



معالم إسلامية

الاثنين، 10/10/2005 4:26 م

في مدينة صيدا عاصمة الجنوب اللبناني، ووسط أبنية عشوائية الهندسة والتصميم تنتصب مساجد أثرية يعود بعضها إلى
 زه الكنعانية، فيها كان بعضها الآخر يشكل في عهود لاحقة، منتدى للمسلمين تلقى حقائق غناء، يجلس فيها
 الناس بعد الانتهاء من أعمالهم، يتسامرون إلى أن يحين موعد الصلاة ليؤدوها في وقتها في هذا المنتدى، إذ لم تكن المقاهي
 موجودة قديماً في المدن الإسلامية.

واللافت في هذه المساجد الواقعة عند تقاطع الأزقة والدروب، أنها مقامة على خطين مستقيمين من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، وأقدمها وفقاً لما هو مؤرخ هو مسجد باب السراي الذي يعود إلى عام 598هـ، وقد سمي كذلك لأنه يقع على بعد أمتار من باب سراي آل معن داخل صيدا القديمة، حيث كانت تقوم منازلهم.

في أعلى مدخل المسجد الشمالي، نُقِشت لوحة بما يلي «بسم الله الرحمن الرحيم، انشأ هذا الجامع المبارك العلامة الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام عمدة الطالبين مولانا شيخ أبو اليمن ابن العبد الفقير إلى الله تعالى ابن العلامة مولانا شيخ الإسلام أبي اسحق إبراهيم بن... الدين أواخر رمضان 598 هـ (1177م)».

وفي ذلك، يوضح الباحث الدكتور عيد الرحمن حجازي «أن عبارة عمدة الطالبين تعود إلى العائلات الصيداوية التي تنتسب إلى البيت النبوي، وقد كانت تنتخب من بين أفرادها عمدة لها، والعائلات التي تنتسب إلى البيت النبوي تعود إلى الإمام الحسين رضي الله عنه في نسبها.

ولا تفتح شجرة النسب إلا بعد ذبح أضحية لاعتقاد هذه العائلات أنه لا يجوز فتح شجرة النسب قبل تقديم أضحية تقرباً إلى الله تعالى، وقد عرف عمدة الطالبين باسم نقيب الإشراف فيما بعد، وكان نقيب الإشراف يتولى نقابة الإشراف بموجب قرار من السلطان العثماني، إلى أن ألغى هذا اللقب بعد وفاة الشيخ أحمد جلال الدين آخر نقيب للإشراف في صيدا عام 1947».

أقسام المسجد

يقع هذا المسجد إلى الشرق من ساحة باب السراي داخل مدينة صيدا القديمة ويتألف من ثلاثة أقسام:

1- حرم المسجد متسع المساحة، يتصدره منبر معظم أقسامه من الخشب، وتعلو القسم الشرقي من الحرم قبة جميلة الشكل، أما القسم الجنوبي من الحرم فقد كان خارج منطقة الحرم لكنه أتيح إليه بعد الإصلاحات التي جرت للمسجد عام 1964.

2- صحن المسجد، وتعاادل مساحته ربع مساحة الحرم، وتناز بهمودين أثريين ينتصبان في وسط الصحن.

3- مدخل المسجد، وله اثنان، مدخل غربي من جهة ساحة باب السراي يفضي مباشرة إلى الحرم، ومدخل شمالي يؤدي إلى صحن المسجد.

4- الجامع العمري الكبير

كان هذا المسجد في الأصل معبداً للشمس، ويؤكد على صحة ذلك الباقية الدائرية الشكل التي توجد في أعلى الحائط الشرقي من حرم المسجد، والتي تسمح لنور الشمس أن يغمر القاعة.

يستذكر د.حجازي رواية لأحد المخضرمين في هذا المجال، تقول «أن المسجد العمري كان معبداً للشمس ثم تحول إلى كنيسة في عهد البيزنطيين، ثم تحول إلى مسجد بعد الفتح الإسلامي لمدينة صيدا، وأطلق عليه اسم العمري الكبير نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان خليفة للمسلمين في ذلك العهد».

ومن هنا، فإن تاريخ الجامع العمري يؤكد أنه كان معبداً كنعانياً، وقد كان كل فاح لهذه المدينة يحول ذلك المعبد الكنعاني إلى معبد يتوافق مع معتقده، بعد أن يجري عليه الإصلاحات اللازمة، إلى أن عاد البناء مسجداً بشكل ثابت في أواخر العهد الأيوبي، بعد أن حرروا صيدا من الصليبيين.

يقع هذا المسجد داخل مدينة صيدا القديمة في منطقة صهر اللير، على تلة مرتفعة تشرف على البحر من جهة الغرب. قديماً كان يعلق على باب المنبر فيه سيف بحمله الخطيب عندما يصعد ليخطب، لكن هذه العادة ألغيت بعد وفاة إمام وخطيب المسجد الشيخ جلال الدين عام 1947م.

* يتألف للمسجد من أربعة أقسام

1. الحرم وله ثلاثة أبواب ضخمة من الخشب تفضي إلى البهو ويقتصب وسط الحرم منبر رخامي، وإلى يمين المنبر محراب نقش فوقه اسم الجلالة «الله» وإلى اليسار محراب آخر نقش فوقه الآية الكرمة: «كلما دخل عليها زكيا المحراب».

2. بهو المسجد وتبلغ مساحته حوالي ضعف مساحه الحرم وتعلوه ثلاثة قبب تبدو عليها مظاهر العمارة العثمانية، إضافة إلى للندنة ذات الجسم الأوسط المستدير الذي ينتهي بشرفة دائرية محمولة على جسم سقلي مربع، ونهاية علوية بشكل مخروط، ويظهر في وسط البهو محراب صغير.

3. صحن المسجد وتبلغ مساحته مساحة البهو تقريباً، وكان يتوسط هذا الصحن، كما يقول د.حجازي، «بركة دافقة وفي وسطها فسقية عليها قبة عظيمة البنيان وفي خارجه صفة صغيرة محكمة الأركان وهي مشرفة على البحر، وفيها بئر ماء فيه بعض ملوحة لكنه شفاء للجسم السقيم».

4. مدخل المسجد، وله اثنان، المدخل الأساسي للجامع ويفضي مباشرة إلى صحن الجامع وقد أحاطت به القناطر من جميع الجهات والمدخل الشرقي الذي استحدث على بناء الجامع من الحديقة التي كانت تحيط به من الشرق والجنوب.

تعرض المسجد العمري إلى إصلاحات وتوسعات كثيرة ، كان أهمها في عهد السلطان عبد العزيز خان، حين أجرت خوشيار هاشم والدته خديوي مصر اسماعيل باشا بعض الترميمات عليه عام 1278هـ.

في العام 1982م تهدمت أجزاء كبيرة من المسجد، خاصة الحرم، من جراء قصف الطيران الإسرائيلي وقد تولت المؤسسة الإسلامية للتعليم العالي في صيدا إعادة ترميمه بالتعاون مع شركة أوجيه. لبنان.

* جامع قطيش

بني مسجد قطيش عام 1580م على نفقة الحاج علي بن محمد بن قطيش . ويقول د.حجازي أن هذا الرجل كان فاضلاً محباً للعلم، يحرص على استضافة جميع علماء المنطقة.

وقد استضاف مرة العلامة الشيخ عبدالقوي النابلسي وعندما رأى مسجد قطيش، وصفه فيما بعد في مؤلفه «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية» بالقول «هو جامع جديد منور، فيه بركة ماء، وفسقية صغيرة من الرخام يجري إليها ماء عذب وهو أصغر من جامع الكيخيا».

أجريت لهذا المسجد ترميمات وإصلاحات عديدة كانت أهمها عام 1867م (1288هـ) عندما قام أحفاد الشيخ علي قطيش بتجديد المسجد وتأريخ شعر كتبه فوق باب المسجد الخارجي الذي يمتاز بجماله ويعتبر من أجمل مداخل المساجد في صيدا.

وقد جاء في الأبيات:

لقد حلف هذا الجامع النور والها

من اخلصوا لله في السر والنجوى

فهم فتية أحبوا مآثر جدهم

بتجديد خير ذكره دائما يروى

أفان البنيان حقا على التقى

فيشراهم دار النعيم لهم منوى

بناء لوجه الله تاريخه 1288هـ علا

وان أصله كان الأساس على التقوى.

دفن في الناحية الجنوبية من للمسجد الشيخ علي قطيش، والضريح عبارة عن بناء حجري بسيط تعلوه شاهد نقشيت عليه آية قرآنية، وكان من عادة المصلين في ذلك المسجد،

وبعد صلاة الفجر، أن يقفوا على باب للمسجد ويذكروا الله، فيقول إمام المسجد «أفلح من قال لا إله إلا الله» فيردد المصلون 3 مرات «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير». ويختتم إمام المسجد حلقة الذكر بقوله: «فاز من وحّد الله»، فيردد المصلون «لا إله إلا الله».

يصف د.حجازي مسجد قطيش بأنه من أغنى المساجد «لا في صيدا فحسب، بل في لبنان، فأوقافه كثيرة وكبيرة، وهو يقع داخل صيدا القديمة إلى الشمال من ساحة المصليية وإلى الجنوب من جامع الكيخيا، ويتألف هذا الجامع من أربعة أقسام:

الحرم: لا تتجاوز مساحته 50 متراً مربعاً تعلوه قبة زين داخلها ستة لوحات من الفسيفساء، كما زين جانبها الباب الرئيسي للحرم بلوحتين من الفسيفساء.

هو المسجد: يتألف من قسمين، قسم ملاصق للحرم يرتفع سقفه على عمودين أثريين تعلوهما زخارف وتنوعات، ما يدل على أنهما جُلبا من مواقع أثرية قديمة، وقسم ثانٍ فسيح تتجاوز مساحته مساحتي الحرم والقسم الأول من البهو، ويروى أنه كانت في هذا القسم بركة تملأ بالعصير في ذكرى المولد النبوي ليشرّب منها الناس ويصلون على النبي (صلى الله عليه وسلم).

غرفة المسجد: وكانت ملتقى العلماء ومركزاً لتعليم القرآن الكريم، وآخر من استعمل هذه الغرفة للتعليم الشيخ موسى نصر للتوفي عام 1969م الذي كان يعلم القرآن مجاناً.

حديقة المسجد: وهي حديقة كبيرة مليئة بأشجار الليمون، تقع إلى الغرب من المسجد لكنها منفصلة عنه.

عام 1964م أجرت دائرة الأوقاف الإسلامية في صيدا بعض الإصلاحات والترميمات في هذا المسجد.

كيخيا

شيد عام 1033هـ من قبل الحاج مصطفى الكتخدا ، ويقول د.حجازي «إنه يعرف باسم جامع الكتخدا بكسر الكاف، لكن صعوبة لفظ الاسم وكثرة تداوله أدتا إلى تحريفه ليصبح جامع الكيخيا، وتشير دراسة للدكتور طلال المجذوب إلى أن الكتخدا هي صفة لممثل الوالي العثماني للمدينة، وليست اسم عائلة».

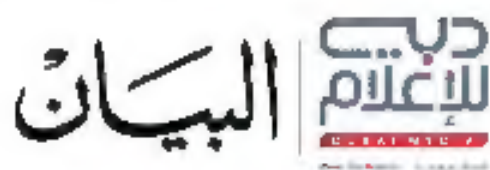
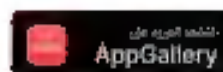
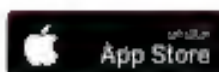
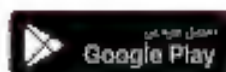
يقع جامع الكيخيا إلى الشمال من مسجد قطيش ، ولا يوجد داخله لوحة أو نقش يدل على زمن بناء أو زمن الانتهاء من بنائه ، وإن كان البعض من أهل المدينة يقول إنه كان يوجد داخل الجامع لوحة، لكن استخدام للمسجد كمزار من قبل العائلات الفلسطينية النازحة عام 1948 من فلسطين ولفترة طويلة قد ساهم في تغييب هذه اللوحة، وقد ظل هذا المسجد مغلقا إلى أن أعيد ترميمه في التسعينات أمام المصلين.

بقلم: د. أحمد الصاوي

✕

البَيَان

اقتصاد	اتصل بنا	إكس
تكنولوجيا	خدماتنا	لينكد إن
أخبار	أعلن معنا	فيسبوك
العقارات	انضمّك في البيان	الستغرام
الرياضة	سياسة الخصوصية	يوتيوب
أسلوب الحياة		تيك توك
بودكاست		نساب شات
قصص البيان		



جميع الحقوق محفوظة © 2024 ديي للإعلام
 ص.ب. 2730، طريق الشيخ زايد، دبي، الإمارات العربية المتحدة

